فصلنامه گفتمان راهبردی فلسطین، سال اول، شماره ۲، بهار ۱۳۹۸، صفحات ۱۷۷ـ۱۶۱

مستقبل ودور المقاومة الفلسطينية فی ضوء التوتر الآيرانی ايمريكی*

عدنان ابوعامر[۱]

المخلص

فی الوقت الذی يزداد فيه تصاعد التوتر الأمنی فی المنطقة، لاسيما بين جمهورية إيران الإسلامية والولايات المتحدة الأمريكية، تتطلع الأنظار إلى الدور الذی يمكن أن تضطلع به المقاومة الفلسطينية فی هذه المواجهة الدائرة، التی تأخذ شكل التصريحات السياسية والإعلامية، مرورا بالعقوبات الاقتصادية، وربما تصل إلى المعركة العسكرية بين طهران وواشنطن، أو حلفاءهما. تري إيران أن دعمها لحركات المقاومة المسلحة الفلسطينية ليس مفاجئاً، أو مرتبطاً بتحقيق أجندة إقليمية آنية، بل له جذور تاريخية، تعود لما قبل اندلاع الثورة الإسلامية عام ۱۹۷۹، التی شهدت تزايد الدعم السياسی والإعلامی، بحيث أن مرشدها الأول الإمام "الخمينی" بادر لتحويل السفارة الإسرائيلية زمن المخلوع "الشاه"، إلى سفارة للثورة الفلسطينية، وامتلك علاقات وثيقة مع الزعيم الفلسطينی الراحل ياسر عرفات أوائل سنوات الثورة. وطالما أن إيران تعتبر دعم المقاومة الفلسطينيّة واجباً دينيّاً، وأولويّة مهمّة، فإنها ستحاول تجاوز العقبات الأمنيّة من إسرائيل والسلطة الفلسطينيّة، فالدعم الإيرانیّ العسكریّ والمالیّ أثبت نجاعته فی قطاع غزّة بالتصدّی للحروب الإسرائيليّة، فی ظل قناعة المقاومة الفلسطينية بأن الولايات المتحدة تريد القضاء علي القضية الفلسطينية من خلال صفقة القرن، وإن اجهاض هذه المؤامرة تأخذ بعين الاعتبار الدور الإيرانی لمواجهتها. تبدو المقاومة الفلسطينية مطمئنة إلى أنّ علاقتها بإيران ثابتة واستراتيجيّة لا تخضع لمصالح موقّتة آنيّة، مما يؤكد وجود قرار رسميّ فی الجانبين

---

* ترجمه مقاله در صفحات ۱۳۴-۱۱۹

۱. رئيس قسم العلوم السياسية جامعة الأمة-غزة فلسطين (adnanaa74@hotmail.com)

www.SID.ir

لتطوير علاقتهما، ويبدو أنّهما أمام مرحلة استراتيجيّة جديدة، فى ظل أن إيران تدعم تلك الفصائل لأنها حركات مقاومة، فيما تبدو الأخيرة حريصة علي تطوير العلاقة مع إيران، فهما شريكان استراتيجيان، ويأتى تنمية علاقاتهما ضمن إعادة ترتيب الأوراق التى تمر به المنطقة فى شهورها الأخيرة، مما استدعي منهما ترتيبات جديدة لاستيعاب التغيرات. إن توثيق العلاقة بين إيران والمقاومة الفلسطينية أمر مهم للجانبين، نظرا لحاجة بعضهما البعض، لاسيما فى هذه المرحلة الحرجة، خاصة وأنه للمرة الأولى فى تاريخ دبلوماسيتها الخارجية، أعلنت إيران قبل سنوات أنها تدعم قوي فلسطينية مسلحة تقاتل ضد إسرائيل، وتتبنى بصورة لا تقبل الشك أنها صاحبة الفضل فى امتلاك المقاومة للصواريخ التى مكنتها من قصف مدينتى تل أبيب والقدس.

كلمات مفتاحية: المقاومة الفلسطينية، محور المقاومة، فرضية توحيد الجبهات، صفقة القرن

www.SID.ir

مقدمة

فى الوقت الذى يزداد فيه تصاعد التوتر الأمنى فى المنطقة، لاسيما بين جمهورية إيران الإسلامية و الولايات المتحدة الأمريكية، تتطلع الأنظار إلى الدور الذى يمكن أن تضطلع به المقاومة الفلسطينية فى هذه المواجهة الدائرة، التى تأخذ شكل التصريحات السياسية والإعلامية، مرورا بالعقوبات الاقتصادية، وربما تصل إلى المعركة العسكرية بين طهران و واشنطن، أو حلفاءهما.

تري إيران أن دعمها لحركات المقاومة المسلحة الفلسطينية ليس مفاجئاً، أو مرتبطاً بتحقيق أجندة إقليمية آنية، بل له جذور تاريخية، تعود لما قبل اندلاع الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩، التى شهدت تزايد الدعم السياسى والإعلامى، بحيث أن مرشدها الأول الإمام "الخمينى" بادر لتحويل السفارة الإسرائيلية زمن المخلوع "الشاه"، إلى سفارة للثورة الفلسطينية، وامتلك علاقات وثيقة مع الزعيم الفلسطينى الراحل ياسر عرفات أوائل سنوات الثورة.

- الدعم الإيرانى للمقاومة الفلسطينية

بعد ظهور الحركات الفلسطينية المسلحة، لاسيما ذات الطابع الإسلامى العقائدى، برزت أوجه الدعم الإيرانى لها، مما يؤكد أن إيران لا تنوى التخلى عما تعتبره "موقعها المتقدم فى الشرق الأوسط"، ولذلك أخذ دعمها للفصائل الفلسطينية المسلحة الأشكال التالية:

١- الدعم المالى

تشير الوقائع الميدانية، بجانب تقارير أمنية إسرائيلية وغربية، وتقديرات عربية، وفلسطينية، أن طهران تمول بشكل أساسى حركتى حماس والجهاد الإسلامى، بميزانيات سنوية ثابتة، إضافة لدفعات لمرة واحدة فى حالات خاصة، وتقدر بـ"مئات ملايين الدولارات".

امتد الدعم الإيرانى للمقاومة الفلسطينية منذ فترة طويلة، وتحديداً مع اندلاع الانتفاضة الثانية أواخر عام ٢٠٠٠، وبعد إدراج حماس ضمن المنظمات التى ترعي "الإرهاب" من قبل الاتحاد الأوروبى عام ٢٠٠٣، وفرض الحصار الدولى عليها، ومحاصرة وجودها، ومصادر إمدادها، وحرمانها من الانفتاح السياسى والدعم اللوجستى، وإغلاق كثير من العواصم فى وجه تحركها، واتباع عواصم أخري سياسة "التجويع من أجل التركيع"، كل ذلك دفعها لطرق أبواب أخري كإيران، إبقاءً لجذوتها، ودعماً لصمودها.

www.SID.ir

جاء تعاظم العلاقة الإيرانية بحركة حماس بعد الحصار الدولى والإقليمى و"الداخلى" لها عقب فوزها بالانتخابات التشريعية عام ۲۰۰۶، وتشكيل الحكومة الفلسطينية العاشرة برئاسة زعيمها الحالى إسماعيل هنية.

۲-الدعم العسكرى والتسليحى

رغم أن إيران اعتادت علي التعتيم، أو إنكار الطابع العسكرى-التنفيذى للمعونات العسكرية التى تقدمها لمنظمات المقاومة الفلسطينية، وعرض المساعدات علي أنها سياسية وإعلامية وإنسانية، غير أن الوقائع تفند بصورة قاطعة هذا الإنكار، لأنها مبنية علي قاعدة واسعة من المعلومات المتوفرة بحوزتها، حيث يشمل دعمها تدريب المئات من المسلحين الفلسطينيين علي القتال فى إطار "الحرس الثورى الإيرانى"، وتزويدهم بأعداد كبيرة من القذائف الصاروخية، التى تطلقها علي المستوطنات الإسرائيلية.

ويعمل "فيلق القدس" علي توفير الصواريخ المتطورة المصنعة، كبنادق القنص والأسلحة الأوتوماتيكية والراجمات، وتزويدها بقدرات تركيب المواد الناسفة ضد الآليات المدرعة، وبناء واستعمال تقنيات العبوات الناسفة الذكية، وهكذا حرصت إيران علي تزويد المقاومة الفلسطينية بالدعم العسكرى، لإعطائها العمق الاستراتيجى.

هناك العديد من التصريحات تظهر فيها إيران رضاها من قدرات الفصائل الفلسطينية فى مواجهتها مع "إسرائيل"، وأنها حولتها من "منظمات مزعجة إلى خطر استراتيجى"، بعد مساعدتها ببناء ترسانة صاروخية تضم آلاف الصواريخ، القريبة والمتوسطة المدي، ومنحتها قدرات هائلة، تمكنها من القدرة علي التسبب فى تدهور إقليمى، وهى مكانة تجسدت فى الحرب الإسرائيلية الأخيرة علي غزة صيف ۲۰۱۴.

ومن خلال الإطلاع علي الوضع الميدانى والتغطية الإعلامية، يمكن تحديد المساعدة العسكرية الإيرانية المقدمة لفصائل المقاومة الفلسطينية فى المجالات التالية:

أ- تدريب مئات النشطاء علي مختلف الوسائل والأساليب القتالية.

ب- تهريب الوسائل القتالية، بما فيها الصواريخ التى يتم إطلاقها باتجاه المدن الإسرائيلية القريبة، ويصل مداها ۴۰-۵۰ كم إلى مدينتى بئر السبع أو أسدود، وأخيرا وصلت ۶۰ كم

www.SID.ir

باتجاه مدينة تل أبيب.

ت-تأهيل ونقل العلم والمهارات التكنولوجية-التنفيذية لاستخدامهما فى إنتاج وتطوير الأدوات الحربية التى تمتلكها، بما فيها توسيع الطاقة الفتاكة التى تحتوى عليها العبوات الناسفة الموضوعة علي جوانب الطرقات، وتوسيع نوعية الصواريخ المنطلقة تجاه المناطق الإسرائيلية.

ث- تحسين قدراتها علي تنفيذ عمليات ضد "إسرائيل"، وتعزيز البنية التحتية العسكرية لها فى غزة.

ج-تحسين نسبة المناعة المتواجدة لدي الفصائل، وقدرتها علي الصمود أمام أى مواجهة مستقبلية مع "إسرائيل"، بإتقان نشطائها عبر هذه التدريبات لمهاراتهم القتالية، حيث ينخرط قسم منهم فى الوظائف القتالية، وينخرط القسم الآخر فى "وحدة الرصد" التابعة لها.

ح-ممارسة التدريبات فى مجال التكتيكات التى يتميز بها القتال الميدانى، وكيفية تفعيل الوسائل القتالية، حيث يعودون إلى غزة، مكتسبين المهارات فى المجالات التكنولوجية المتطورة، وإطلاق الصواريخ، وتفعيل العبوات الناسفة والقِناصة، وتكتيكات أخري.

٣-الدعم السياسى والمعنوى

درج الخطاب السياسى الإيرانى علي توجيه رسائل الدعم والإسناد للقضية الفلسطينية، وإدانة ورفض كل أشكال القمع والحصار الإسرائيلى المفروض علي الفلسطينيين فى قطاع غزة، حيث تمثلت السياسة الإيرانية خلال العدوانات الإسرائيلية علي المقاومة الفلسطينية، بالنقاط التالية:

أ- إدانة قوية لهذه الحروب، سياسياً ودبلوماسياً وإعلامياً وشعبياً.

ب- شن هجوم شديد علي سياسات "إسرائيل"، مع التأكيد علي قرب زوالها.

ت- رفض تحميل المقاومة الفلسطينية مسئولية اندلاع العدوان، ودعوة مبكرة منذ الأيام الأولى للاستماع لصوتها فى المحافل الدولية، ورفض حرمانها من شرعية وجودها كحركات مقاومة، وعدم إخراجها من اللعبة السياسية، وكسر الحصار السياسى عنها.

ث- مساندة مطالب رفع الحصار، وفتح المعابر، لقبول وقف إطلاق النار مع الجيش الإسرائيلى.

ج-التحرك الدبلوماسى، مع الحرص علي ضبط النفس، والاقتصار علي إعلان المساندة

www.SID.ir

الكاملة لحركات المقاومة بكل السبل الممكنة.

جاءت مواقف إيران من دعم المقاومة الفلسطينية انسجاماً مع سياستها المعادية لـ"إسرائيل"، وتجلي فى تصريحات أعلي المراجع السياسية والدينية، والتحركات الشعبية الداعمة، ولذلك، دأبت إيران علي تنسيق مواقفها مع قوي المقاومة الفلسطينية، ونشطت دبلوماسيتها عبر زيارات مكوكية ومتواصلة.

۴-الدعم الآعلامى والدعائى

أخذ الدعم الإعلامى الإيرانى نحو المقاومة الفلسطينية آفاقاً رحبة، ومنحت مساحات واسعة فى ساعات البث التلفزيونى وصفحات الصحف، مما دفع بـ"إسرائيل" لزيادة وتيرة التحريض علي الفصائل الفلسطينية، بزعم أنها معنية بـ"مأسسة" علاقتها مع إيران، للسيطرة علي مقاليد الأمور فى الأراضى الفلسطينية بهذا الدعم، ونقل المحور الإيرانى إلى المنطقة.

تنظر قطاعات فلسطينية إلى الدعم الإيرانى كأحد مصادر المساندة التى يمكن تعبئتها، وفق رؤية استراتيجية تتصدي للتهديدات والمخاطر الشديدة التى تحيق بالقضية الفلسطينية برمتها الآن، فيما تهدف المقاومة من علاقتها بإيران لتأكيد حضورها علي الساحتين العربية والإقليمية، واطلاعها علي وجهات نظرها، والانفتاح السياسى والإعلامى لها، وتوفير أبعاد جغرافية جديدة للتحرك السياسى لها بعد إغلاق جزء كبير من العواصم.

لم يتردد قادة المقاومة الفلسطينية فى التصريح عدة مرات أن "إسرائيل مخطئة إذا ظنت أن الشعب الفلسطينى يقف وحيداً فى المعركة، لأنه جزء من الأمة الإسلامية، وله عمق استراتيجى فى إيران"، وتكرر إعلان فصائل المقاومة علي شكر إيران علي الدعم الذى تقدمه للفلسطينيين، باعتباره مثار فخر للمسلمين، ويقوى "المقاومة الفلسطينية".

فيما قال زعماء إيران أن الشعب الإيرانى لن يتوانى عن تقديم جميع أنواع المساعدات للفلسطينيين فى غزة، داعين للاستمرار فى دعم منظمات المقاومة حتى "تحرير فلسطين"، وبالتالى، فإن الاقتراب والابتعاد من مبدأ حق المقاومة يشكل "البارومیتر" السياسى الذى تقوّم به الفصائل الفلسطينية درجة علاقاتها مع إيران، ويمكن قياس شكل العلاقة المستقبلية بينهما وفقاً لهذه المسطرة.

www.SID.ir

• التصعيد الأمريكى الإسرائيلى ضد إيران

خلال إنجاز هذه الدراسة تزايدت حدة التهديدات الإيرانية الأمريكية الإسرائيلية بصورة ملحوظة، حتى وصلت المقاومة الفلسطينية التى ألمحت بعض فصائلها أن كل محور المقاومة جاهز للرد عليها فى حال حصول أى عدوان علي أى طرف فيها.

كما أصدر معهد أبحاث الأمن القومى الإسرائيلى التابع لجامعة تل أبيب، تقديره الاستراتيجى، وجاء فيه أن هناك احتمالات متزايدة لاندلاع مواجهات عسكرية بين "إسرائيل" أمام إيران وحزب الله والفلسطينيين، لأن معظم الجبهات المحيطة بالكيان الصهيونى باتت شبه متفجرة، بانتظار الصاعق الذى قد يشعلها.

تعتقد الاحتلال الإسرائيلى أنه فى حال تحقق هذا السيناريو القائم علي فرضية مواجهة عسكرية شاملة، فلن تكون أمام جبهة واحدة انفرادية، وإنما قد تجد نفسها أمام "حرب الكل"، بحيث تواجه: إيران، سوريا وحزب الله فى الشمال، والمنظمات الفلسطينية فى قطاع غزة جنوبا، مما يتطلب منها أن تكون مستعدة لها.

الحقيقة أن هذه التقديرات المتزامنة مع ارتفاع مستوي التوتر إلى صورة غير مسبوقة منذ وصول الرئيس الأمريكى دونالد ترامب إلى البيت الأبيض، تطرح جملة من التساؤلات التى قد تترافق مع هذه الفرضية، ومنها: هل تشن الولايات المتحدة هجوما علي إيران، أم تبدأ تلك الجبهات هجومها علي "إسرائيل" بصورة استباقية لمشاغلتها عن مهاجمة إيران، وما مواقف الفلسطينيين من الانضمام لإيران وحزب الله، وماذا سيكون موقف إيران والحزب فى حال تعرض غزة لعدوان إسرائيلى.

تزايدت فى الآونة الأخيرة صدور مواقف إسرائيليّة وفلسطينيّة تشير لإمكانيّة خوض مواجهة متعدّدة الجبهات، وأعلن رئيس الوزراء الإسرائيلىّ بنيامين نتنياهو "أننا نعمل علي كلّ الجبهات فى وقت واحد"، وكأنه يقصد إمكانية اندلاع جبهات عسكرية أخري فى غزة أو سوريا لمساندة حزب الله، إذا واجه عدوانا إسرائيلياً.

وحذر وزير الطاقة الإسرائيلى يوفال شتاينتس من "قيام إيران بإطلاق صواريخ تجاه "إسرائيل" عبر المقاومة الفلسطينية فى قطاع غزة، أو حزب الله اللبنانى"، علي ضوء التصعيد الأمنى مع الولايات المتحدة.

www.SID.ir

كما أعلن وزير الحرب المستقيل أفيغدور ليبرمان أنّ "إسرائيل قادرة علي التصدّى لجبهات عسكريّة عدّة فى وقت واحد، بحيث تخوض معركتين ضد حزب الله فى لبنان وحماس فى غزة فى آن واحد معاً".

ويتزامن هذا التحذير الإسرائيلى مع تقديرات تحدثت عن وجود تنسيق كامل بين أطراف المحور الإيرانى فى المنطقة، ويتجلي فى التدابير السياسية والعسكرية، ووجود خطة لمواجهة الهجوم الإسرائيلى-الأمريكى علي إيران، بجبهة عريضة متكاملة عبر توحيد الجبهات الثلاث من: غزة ولبنان والجولان، والردّ بشكل متزامن علي "إسرائيل"، عبر غرفة عمليات مشتركة كتلك الموجودة فى غزة.

المقاومة الفلسطينية تراقب التحرّكات الإسرائيليّة علي كلّ الجبهات، وتعتقد أن "الجبهات مجتمعة سلسلة متكاملة، ولا يمكن فصل غزّة عن لبنان عن إيران، فعدوّنا واحد، وإن كانت الجبهات متعدّدة، ولن يسمح لإسرائيل بالاستفراد بأىّ جبهة"، مما يشير لوجود تقدير موقف لدي هذا المحور الذى تقوده إيران بإمكانية خوض معركة فى جبهات عدّة، ويفسح المجال لمناقشة هذا السيناريو، وهل تبدو الفصائل الفلسطينية مستعدّة له.

تعتبر إيران الداعم الأساسىّ للفصائل الفلسطينيّة، مما يجعلها تقرّر إطلاق معركة متعدّدة الجبهات، وسيضع أمام الفلسطينيّين تحدياً فى مدي الاستجابة لهذا الطلب الإيرانىّ، أو رفضه، مع العلم أن التقييم الإيرانى لمثل هذه المشاركة باتت مسألة لازمة لتحقيق سياسة تقاطع النيران وتوحيد الجبهات.

اليوم يعيد المحور الإيرانى تجميع صفوفه من جديد، وتعتقد أطرافه أن الاشتراك دفعة واحدة بأىّ مواجهة، وإمطار "إسرائيل" بالصواريخ علي كلّ الجبهات، لها مبرّرات أخلاقيّة ووطنيّة ومصلحيّة، لأنه بعد انتهاء الولايات المتحدة من مهاجمة إيران، أو عدوان "إسرائيل" علي حزب الله، فقد تواصل معركتها فى غزّة، أو العكس، مما قد يمنح هذه المواجهة طابعاً إقليميّاً.

الإسرائيليون يعتقدون أن إيران لديها مصلحة بالتصعيد فى المنطقة، لأنها تواجه حاليا عقوبات أمريكية جديدة دخلت حيز التنفيذ، وقد تذهب نحو إطلاق مواجهة عسكرية بين حزب الله أو الفلسطينيين من جهة ضد "إسرائيل" من جهة أخري، والتوصل فى نهايتها لصفقة إقليمية ودولية، تأمل إيران من خلالها تخفيف العقوبات الأمريكية القاسية عليها.

www.SID.ir

تتزايد الترجيحات باندلاع حرب متعددة الجبهات، بعد أن شهدت الأشهر الأخيرة تنامياً لعلاقات الفلسطينيّين بإيران، مما قد يجعل مشاركتهم ضدّ حرب أمريكية عليها، أو عدوان إسرائيلى علي حزب الله أمراً متوقّعاً، رغم حساسيّة موقفهم وصعوبة تقديراتهم.

تطور ميدانى وثيق الصلة بمسألة تعدد الجبهات القتالية فى مواجهة الولايات المتحدة و"إسرائيل" تمثل بصدور مواقف سريعة من الفصائل الفلسطينية تدين القصف الإسرائيلى المتكرر لقواعد عسكرية إيرانية، وشحنات أسلحة لحزب الله داخل الأراضى السورية.

هذه المواقف المتقدمة قد تهيئ لإيجاد جبهة عسكرية جديدة موحدة تقيمها إيران ضد "إسرائيل"، ستعمل انطلاقا من: سوريا ولبنان وقطاع غزة، فى ظل توثيق إيران لعلاقاتها العسكرية مع المنظمات الفلسطينية، من خلال الجنرال قاسم سليمانى، قائد فيلق القدس فى الحرس الثورى الإيرانى، بحيث ترد إيران علي الولايات المتحدة و"إسرائيل" عبر الأراضى الفلسطينية.

تزعم "إسرائيل" أن هذا التوجه الإيرانى ليس مفاجئا لها، فالأذرع العسكرية الفلسطينية جزء لا يتجزأ من المحور العسكرى الإيرانى العامل ضدها، وتواصل طهران إرسال الأموال لها، كى ترسل رسالة لـ"إسرائيل" أنها أحد الأجزاء الأربعة المكونة للمحور القائم فى المنطقة، بجانب إيران وسوريا وحزب الله.

هذا يحقق حلما إيرانيا باستكمال حلقات الإحاطة بـ"إسرائيل"، ليتم إمطارها بعشرات الآلاف من القذائف الصاروخية عند لحظة الصفر، مما يتسبب بتخريب مدنها، وتهجير سكانها خارج حدودها، وتدمير كل المواقع الحيوية الإسرائيلية لحظة اندلاع الحرب.

كما يزداد الحديث الإيرانى والإسرائيلى معاً حول توحيد الجبهات القتالية فى ظل تصاعد الصدام الإسرائيلى الإيرانى السورى، وارتفاع مستوي التوتر الإيرانى الأمريكى، مما قد يدفع طهران لمحاولة التحرش بـ"إسرائيل" عبر جبهات عسكرية أخري، بحيث يتم استهداف مواقع داخلها أو خارجها، وكلما بدا أنها ذات اليد العليا فى المواجهة الدائرة، فإن إيران ستبقي تواصل البحث عن الخاصرة الرخوة؛ لاستهدافها من خلالها.

ارتباطا بما سبق، دأبت المخابرات الإسرائيلية علي الإعلان بين حين وآخر عن تفكيك خلايا تمارس أنشطة مسلحة وأمنية لصالح إيران بالضفّة الغربيّة، والزعم بأن إيران كلّفتها بتجنيد

www.SID.ir

مسلّحين لشنّ هجمات ضدّ الإسرائيليّين، مما يطرح أسئلة عدّة حول الاتهامات الإسرائيليّة ضدّ إيران بالعمل فى الساحة الفلسطينيّة، ومدي امتلاكها معلومات دقيقة حول التدخّل الإيرانىّ، وسبب صدور هذه الاتهامات لإيران فى هذا التوقيت بالذات.

لا يخفى الإيرانيّون رغبتهم فى رفع وتيرة القتال ضدّ "إسرائيل" من خارج أراضيهم، وهم يملكون أدوات مختلفة تمكّنهم من تذليل العقبات لإيصال ما يريدونه من أسلحة وأموال للأراضى الفلسطينيّة، فلديهم سيطرة معيّنة علي الممرّات المائيّة فى المنطقة القريبة من القرن الإفريقىّ، ويمكنهم استغلال الأحداث فى سوريا للاقتراب من الحدود المتّصلة جغرافيّاً بفلسطين والأردن، مما قد يشكل تحدياً أمام "إسرائيل" والسلطة الفلسطينيّة لإحباط وصول أسلحة إيرانيّة للضفّة الغربيّة، عبر زيادة التنسيق الأمنىّ بينهما.

إن السعى الإيرانىّ لتثبيت فرضية توحيد الجبهات، وفى القلب منها الساحة الفلسطينيّة يتركّز علي توفير الأموال والأسلحة للخلايا العسكريّة، تجسيدا لتحقيق التطلّعات الإيرانية فى الساحة الفلسطينيّة، وبذلها محاولات كثيفة لتثبيت نفوذها فيها، بدعم تشكيلات عسكريّة فى الأراضى الفلسطينية وتمويلها وتسليحها.

كما يأتى التوتر الأمريكى الإيرانى بصورة متزايدة فى وقت تشهد العلاقات الإيرانية الفلسطينية، وتحديدا مع فصائل المقاومة تنامياً تدريجياً لافتاً، وكأنه يريد حرق المزيد من المراحل، وتجلي هذا التنامى خلال الأسابيع الماضية فى المحورين: القولى والفعلى، حتى أنهما يبدوان كأنهما يتحدثان من بوتقة واحدة، وبأهداف مشتركة، وتطلعات متفق عليها، مما يمنح النفوذ الإيرانى جرعة إضافية فى منطقة هى الأكثر توترا فى الشرق الأوسط بأسره، ويلقى بظلاله المتباينة علي مختلف الأطراف، سلباً وإيجاباً، كل حسب مواقفه وأهدافه.

- انخراط فلسطينى فى مواجهة إقليمية

تعلن فصائل المقاومة الفلسطينية عموماً، وحماس خصوصاً، أنّ "لديها علاقة خاصّة بإيران، فعدوّنا مشترك هو الكيان الصهيونىّ، وعلاقتنا بإيران عرفت مراحل عديدة، حيث تقوم إستراتيجيّتنا معها علي مواجهة "إسرائيل"، عدوّنا المشترك، وإيران لم تتوقّف عن دعم القضيّة الفلسطينيّة، وآخرها مسيرات العودة فى غزّة، ووصل الجانبان للشراكة الاستراتيجية فى المصير".

www.SID.ir

وورد فى رسالة رئيس المكتب السياسىّ لحماس إسماعيل هنيّة لمرشد الثورة الإسلامية السيد على خامنئى، إنّ "الشعب الفلسطينىّ يُثنى علي مواقف إيران لدعم المقاومة بمختلف أنواع المساعدات"، وقال عضو المكتب السياسىّ لحماس موسي أبو مرزوق إنّ "علاقتنا بإيران ممتازة، لأنها تقدّم للحركة الكثير، ممّا نفتقده عند الآخرين"، فيما أشار يحيي السنوار زعيم حماس فى غزة علي "قوة العلاقة مع الحرس الثورى الإيرانى، وقائده قاسم سليمانى، لأن إيران لم تقصر فى دعم الحركة بكل الأشكال".

وشهدت العلاقات الثنائيّة بين حماس وإيران تقارباً ملحوظاً، وأخذت أشكالاً من الزيارات المتكرّرة من قادة الحركة لإيران، وصدور تصريحات متبادلة عن قوّة العلاقة، لعل أهمها توظيف حماس لما يمكن تسميتها "دبلوماسية التعازى"، فى تمتين علاقتها بطهران، وآخرها تعزية الحركة لإيران فى قتلي الهجوم الذى استهدف عرضا عسكريًا فى الأهواز، كما قدّمت حماس التعزية لقائد فيلق القدس فى الحرس الثورىّ الإيرانىّ الجنرال قاسم سليمانى بوفاة والده، وقامت بالتعزية بوفاة الرئيس الإيرانىّ السابق هاشمى رفسنجانى.

مع العلم أن حماس لا تحتاج إلى ديبلوماسيّة التعازى لتوثيق علاقتها بطهران، فما قامت به هو واجب إنسانىّ وبروتوكولىّ مع الجهات التى تربطها بها علاقات سياسيّة، ومع كلّ الدول العربيّة والإسلاميّة، ورغم وجود علاقة خاصّة لحماس بإيران، فلديهما عدوّ مشترك هو الكيان الصهيونىّ.

كما أن تعزية حماس لإيران هى أحد أشكال تقاربهما، ورغبة بإبقاء البوصلة ضدّ "إسرائيل"، ورفضها لانشغال إيران بالقضايا الداخليّة التى قد تؤثر علي دعمها للفلسطينيّين، وفيما سارعت حماس كفصيلة أولى لتعزية إيران، تبعتها فصائل أخري، كالجهاد الإسلامىّ والمقاومة الشعبيّة ولجان المقاومة الشعبيّة والجبهتين الشعبيّة والديمقراطية لتحرير فلسطين.

فى المقابل، أعلن قائد قوي الأمن الداخلى الإيرانى العميد "حسين أشترى" جاهزيته لتدريب المقاومة الفلسطينية، والاستعداد لنقل الخبرات وتنظيم دورات تدريبية لقوات جبهة المقاومة، وأكد على أكبر ولايتى، مستشار السيد خامنئى، أنّ حماس ينصبّ أملها علي إيران لدعم المقاومة، كما أشاد القائد فى الحرس الثورىّ الإيرانىّ "غيب برور" بالمقاومة الفلسطينيّة، وعلي رأسها حماس، التى أكّدت دعم إيران للقضيّة الفلسطينيّة لمواجهة صفقة القرن.

www.SID.ir

يصعب القول أن هذه التصريحات الدافئة الصادرة من غزة وطهران، تأتى فى سياق الاستهلاك الإعلامى والمجاملات السياسية فحسب، بل تعبر فيما يبدو علي تحالف وتبادل مصالح وقرار استراتيجى، حيث شكلت طهران عنوانا ثابتا لزيارات حماس والجهاد الإسلامى فى الآونة الأخيرة، وتم استقبال قادتهما من قبل قيادات الصف الأول فى الدولة الإيرانية.

أبدت إيران جهدا واضحا فى دعم المقاومة الفلسطينية عبر سلوكها الميدانى، تجلي ذلك فى إعلان نائب المندوب الإيرانى بالأمم المتحدة إسحاق آل حبيب فى ديسمبر معارضة مشروع القرار الأمريكى لإدانة حماس فى الأمم المتحدة.

وفى نوفمبر قرّرت إيران تبنّيها المالىّ لعوائل شهداء وجرحي مسيرات العودة فى غزّة، وفى يونيو تمّ توزيع مكرمة إيرانيّة بقيمة ٥٠٠ دولار علي كلّ عائلة شهيد من مسيرات العودة فى غزة، ومنح كلّ مصاب ٢٥٠ دولاراً، وبلغ عدد الشهداء قرابة ٢٠٠، والإصابات أكثر من ٢٠ ألفاً، وفى مايو، أقامت لجنة الإمداد الخيريّة الإيرانيّة فى غزة إفطاراً لآلاف الفلسطينيّين، وقدّمت ٣٠٠ ألف وجبة طوال شهر رمضان.

أما عن الدعم المالى والعسكرى البحت، فلا تتوفر معلومات دقيقة، نظرا لحساسية المسألة وسريتها، ويقتصر الأمر فى تقدير هذه الأرقام علي الأوساط الإسرائيلية، حيث زعم قائد الجيش الإسرائيلىّ السابق الجنرال غادى آيزنكوت فى يناير ٢٠١٨ أنّ إيران تدعم حماس وباقى الفصائل الفلسطينية سنويّاً بمائة مليون دولار، مما دفع بنيامين نتنياهو رئيس الحكومة الإسرائيلية للادعاء أن نصف الفلسطينيين يقعون تحت تأثير إيران.

وفى ظل التوتر المتصاعد بين إيران والولايات المتحدة، وحلفائهما فى المنطقة، من الطبيعى أن تسعي طهران لتكوين جبهة عسكرية فى مواجهة "إسرائيل"، تتشكل من: طهران، دمشق، بيروت، غزة، ضمن إستراتيجية "توحيد الجبهات"، وهو ما قابلته المقاومة الفلسطينية فى عدة مناسبات بالترحيب والمباركة.

مع العلم أن الجانبين، الفلسطينى والإيرانى، لم يوضحا ماهية هذه الجبهة، من سيدافع عن من، وإذا كانت المقاومة الفلسطينية ملزمة بالرد علي عدوان إسرائيلى ضد لبنان أو إيران أو سوريا، فهل هذه الدول مجتمعة أو منفردة، ملزمة بالرد علي أى عدوان إسرائيلى ضد غزة.

لكن زيادة التوتر الإيرانى الأمريكى فى هذه الآونة، قد يزيد من النقاشات الجارية بين أطراف

www.SID.ir

هذا المحور لاتخاذ قرار واضح بشأن كيفية التعامل مع هذا المستجد، مع العلم أنه فور إعلان العقوبات الأمريكية الجديدة علي إيران، صدرت ردود فعل فلسطينيّة رافضها لها، ومتضامنة مع إيران.

فاعتبرت حماس أن فرض هذه العقوبات علي إيران تهدف لزعزعة أمن المنطقة، وتخدم استقرار "إسرائيل" علي حساب القضيّة الفلسطينيّة، وأكّدت تضامنها مع إيران لمواجهة الغطرسة الصهيو-أميركيّة.

فيما وصفت حركة الجهاد الإسلامىّ العقوبات الأميركيّة بـ"البلطجيّة" تجاه إيران، وتعزّز قناعة الشعب الفلسطينىّ بأنّ واشنطن تعيث فساداً فى العالم دون رادع، ويجب مواجهتها.

وأكّدت لجان المقاومة الشعبيّة فى فلسطين أنّ العقوبات عقاب أميركىّ لإيران علي دعمها المقاومة الفلسطينيّة، وجزء من صفقة القرن الأميركيّة، وأعلن تحالف قوي المقاومة الفلسطينيّة أنّ العقوبات الأميركيّة لن تنال من إرادة إيران وقيادتها الحكيمة.

تعلم فصائل المقاومة الفلسطينية أن العقوبات الأمريكية علي إيران ستؤثّر علي دعمها، لأنّ من أسباب هذه العقوبات مساعدة إيران للفلسطينيّين، وإنّ تلك الفصائل قلقة من تأثير العقوبات علي قدرة إيران علي مواصلة دعمها، ولذلك فإنّ "إسرائيل" تخشي أن يكون للفصائل الفلسطينيّة التى رعتها إيران، موقف عملىّ من العقوبات، لأنّها تستطيع مهاجمتها بأذرعها الصاروخيّة الضاربة.

مع العلم أن مواقف المنظّمات الفلسطينيّة ضدّ العقوبات ليست فقط بسبب خوفها من وقف دعم إيران، بل لأنّها حليفتها وتدعمها فى هذه المحنة، ومواقفها منسجمة مع استراتيجيّة "توحيد الجبهات" بين طهران والفلسطينيّين، وقد ترد إيران علي العقوبات بتعزيز علاقاتها بهم، وزيادة دعمهم، لأنّها معنيّة بتعزيز أوراقها الخارجيّة لمواجهة التصعيد الأميركىّ والإسرائيلىّ.

وهكذا يبدو أنّ قوي المقاومة الفلسطينيّة حسمت خياراتها بالوقوف مع إيران، مما يطرح أسئلة عدّة حول اكتفائها بالمواقف الإعلاميّة والسياسيّة فقط، أم قد تتطوّر إلى سلوكيّات ميدانيّة عسكرية علي الأرض.

- قراءة فلسطينية للتقييم الإسرائيلى من عقوبات إيران

من الأهمية بمكان قراءة موقف المقاومة الفلسطينية من التوتر الإيرانى الأمريكى فى ضوء

www.SID.ir

التقييم الإسرائيلى لهذا التوتر، وقبله للعقوبات الأمريكية علي إيران فى المديات: الآنية، المتوسطة، والبعيدة، حيث لم يكن لافتا ولا مفاجئا، خروج الموقف الإسرائيلى المرحب ببدء فرض العقوبات الأمريكية علي إيران، لأن ضغوطا كبيرة مورست من تل أبيب وحلفائها فى واشنطن، علي دوائر صنع القرار الأمريكى فى: البيت الأبيض، الخارجية، البنتاغون، والكونغرس، وتلخصت جميعها بضرورة فرض هذه العقوبات.

عكست المسارعة الإسرائيلية للترحيب بالقرار الأمريكى، دلالتين هامتين: أولاها أن تل أبيب تشعر بسعادة غامرة من هذه العقوبات، وكأنها تحقق لها ما أرادت، وثانيها الوجود الإسرائيلى فى صلب الترتيبات الأمريكية التى وضعت اللمسات الأخيرة لاستئناف العقوبات الأخيرة.

يعتقد الإسرائيليون بأن بدء سريان هذه العقوبات علي إيران يحقق لهم جملة أهداف: قريبة ومتوسطة وبعيدة المدي، وصولا لتجريد طهران من أسباب قوتها الاستثنائية بالمنطقة، وتحافظ علي "إسرائيل" كدولة متفوقة، كماً ونوعاً، علي جميع دول الإقليم.

وتدرك فصائل المقاومة الفلسطينية أن أهم الأهداف الإسرائيلية الآنية من استئناف العقوبات علي إيران، إعادة صورة الأخيرة فى المشهدين الإقليمى والدولى علي أنها دولة منبوذة واقعة تحت سيف العقوبات من الدولة الأعظم علي مستوي العالم، مما سيجعل أى دولة تبتعد عنها، رغبة منها بعدم الدخول فى مواجهة مع "ترمب الرهيب".

مع أن أحد أهم أسباب معارضة "إسرائيل" للاتفاق النووى الإيرانى مع القوي الكبري زمن الرئيس السابق باراك أوباما، أنه عمل علي تسويقها كدولة طبيعية، واليوم كأن الأمور عادت إلى نصابها بالنسبة لـ"إسرائيل"، وسيتم تصوير إيران علي أنها دولة ضمن محور الشر، أو تقوده، وفق الدعاية الإسرائيلية.

ثانى الأهداف الإسرائيلية متوسطة المدي من العقوبات علي طهران، أنها ستجعلها معتكفة علي نفسها، منكفئة علي حالها، وما يعنيه من وقف تدريجى لتدخلاتها فى المنطقة، ودعمها للمنظمات التى تناصب "إسرائيل" العداء، فى فلسطين ولبنان وسواهما، فضلا عن تعثر الخطط الإيرانية بمواصلة نشر قواعدها فى سوريا.

ثالث المصالح الإسرائيلية من العقوبات علي إيران فى مداها البعيد، أنها ستعمل علي إحداث تصدعات بنيوية واجتماعية فى الدولة الإيرانية ذاتها، لأن هذه العقوبات ستكون غير مسبوقة،

www.SID.ir

وفق التقدير الأمريكى، وقد تحقق لتل أبيب وواشنطن ما تسعيان إليه من خلخلة أركان النظام الإيرانى، وصولا لإيجاد احتجاجات داخلية بسبب تدهور الاقتصاد والظروف المعيشية.

هذه الأهداف الإسرائيلية مجتمعة، وسواها، ليست بعيدة عن تفكيرها بإدارة الساحة الفلسطينية ذاتها، بسبب التداخل الجغرافى الحاصل، وتلاقى المصالح القائم، من حيث قطع أنابيب الأوكسجين عن المنظمات الفلسطينية التى تمدها بالحياة، انطلاقا من قاعدة ضرب الرأس الممول مباشرة.

ولذلك فإن الرد الفلسطينى علي هذا الترحيب الإسرائيلى بفرض العقوبات علي إيران، وزيادة التصعيد الأمريكى ضدها، تمثل بتوثيق علاقة المقاومة الفلسطينية بإيران، لأنها تري أنّ خياراتها الإقليميّة تتراجع، ولم يبق سوي إيران التى تمدّها بالمال والسلاح، رغم ما تواجهه إيران حاليا من أزمة اقتصادية قد تتنامي مع مرور الأيام بسبب عودة العقوبات الدولية عليها.

بجانب الدعم المالى الإيرانى، وحاجة المقاومة الفلسطينية إليه، فهى تري أنها بحاجة لمحور تنتمى إليه، بعد حالة التراجعات التى تعرضت لها علاقاتها الإقليمية فى السنوات الأخيرة، مما يجعل إيران تذهب نحو استعادة علاقاتها مع المقاومة الفلسطينية، وتنميتها، وصولا لتعزيز ما بات يعرف بتوحيد الجبهات القتالية فى مواجهة "إسرائيل"، وهى الجبهات الممتدة من: إيران، سوريا، لبنان، غزة.

يمكن القول بأنه خلال إنجاز هذه السطور قد يتطور التوتر الإيرانى الأمريكى بما يتجاوز التصعيد الكلامى والتهديدات المتبادلة، فالطرفان يسيران علي شفا الهاوية، وقد يكون أى حادث ميدانى عابر كفيل بنقل الأمور لساحة المواجهة العسكرية بين الجانبين مباشرة، بصورة مباشرة طهران وواشنطن، أو غير مباشرة من خلال حلفائهما فى المنطقة.

يطرح التوتر الإيرانى الأمريكى المتصاعد فى هذه الآونة جملة من التساؤلات التى قد تترافق مع هذه الفرضية، ومنها: هل تشن "إسرائيل" هجوما علي هذه الجبهات، مجتمعة أو منفردة، بالتزامن مع التصعيد القائم فى منطقة الخليج، أم تبدأ تلك الجبهات هجومها علي "إسرائيل" بصورة موحدة، وما مواقف الفلسطينيين من الانضمام لإيران، وماذا سيكون موقف إيران والحزب فى حال تعرض غزة لعدوان إسرائيلى.

يري الإيرانيون، ومعهم السوريون وحزب الله والفلسطينيون أن الردع الإسرائيلى وصل أسوأ

www.SID.ir

مراحله، وقد تجلي ذلك فى العدوان الأخير علي غزة أوائل مايو ۲۰۱۹، مما قد يشجعهم علي تنفيذ أعمال ميدانية ضد "إسرائيل"، بالتزامن مع مخاوف تعرض إيران لأى عدوان خارجى.

يقابل ذلك رغبة الجيش الإسرائيلى بضبط نفسه فى جولات التصعيد الأخيرة ضد المقاومة الفلسطينية، ربما تحضيرا لتوجيه ضربة قوية ضد مصانع الصواريخ فى لبنان، أو استهداف المزيد من القواعد الإيرانية فى سوريا، وهى عمليات كفيلة باندلاع حرب شاملة، تزامنا مع التطورات الجارية الخاصة بالانسحاب من الاتفاق النووى من جهة، وفرض عقوبات أمريكية جديدة علي إيران من جهة أخري.

وطالما أن إيران تعتبر دعم المقاومة الفلسطينيّة واجباً دينيّاً، وأولويّة مهمّة، فإنها ستحاول تجاوز العقبات الأمنيّة من إسرائيل والسلطة الفلسطينيّة، فالدعم الإيرانىّ العسكرىّ والمالىّ أثبت نجاعته فى قطاع غزّة بالتصدّى للحروب الإسرائيليّة، فى ظل قناعة المقاومة الفلسطينية بأن الولايات المتحدة تريد القضاء علي القضية الفلسطينية من خلال صفقة القرن، وإن اجهاض هذه المؤامرة تأخذ بعين الاعتبار الدور الإيرانى لمواجهتها.

تبدو المقاومة الفلسطينية مطمئنة إلى أنّ علاقتها بإيران ثابتة واستراتيجيّة لا تخضع لمصالح موقّتة آنيّة، مما يؤكد وجود قرار رسمىّ فى الجانبين لتطوير علاقتهما، ويبدو أنّهما أمام مرحلة استراتيجيّة جديدة، فى ظل أن إيران تدعم تلك الفصائل لأنها حركات مقاومة، فيما تبدو الأخيرة حريصة علي تطوير العلاقة مع إيران، فهما شريكان استراتيجيان، ويأتى تنمية علاقاتهما ضمن إعادة ترتيب الأوراق التى تمر به المنطقة فى شهورها الأخيرة، مما استدعي منهما ترتيبات جديدة لاستيعاب التغيرات.

- خاتمة

إن توثيق العلاقة بين إيران والمقاومة الفلسطينية أمر مهم للجانبين، نظرا لحاجة بعضهما البعض، لاسيما فى هذه المرحلة الحرجة، خاصة وأنه للمرة الأولى فى تاريخ دبلوماسيتها الخارجية، أعلنت إيران قبل سنوات أنها تدعم قوي فلسطينية مسلحة تقاتل ضد إسرائيل، وتتبنى بصورة لا تقبل الشك أنها صاحبة الفضل فى امتلاك المقاومة للصواريخ التى مكنتها من قصف مدينتى تل أبيب والقدس.

مع العلم أن طهران دأبت علي نفى توصيف المساعدات التى تقدمها للقوي الحليفة معها بأنها

www.SID.ir

"عسكرية تسلحية"، خوفاً من اتهامها دولياً بدعم "الإرهاب"، لكنها سارعت فى السنوات الأخيرة لترسيخ هذه الصفة، بل إنها اعتبرت ما حصل عقب الحرب السابقة علي غزة بأنها "انتصار إيرانى" بامتياز!

يمكن تفسير هذه القفزة الإيرانية البعيدة بتبنيها لذلك الدعم، بترقب النتائج المترتبة عليه، سواء برفع مستوي النفوذ الإيرانى فى الساحة الفلسطينية، وطرح فرضية أنها تنتظر عبر دعمها للمقاومة الفلسطينية الحصول علي مقابل، فى حالة هجوم أمريكى عليها، لتقوم المقاومة الفلسطينية بخدمتها عبر مشاغلة "العدو"، وفتح أكثر من جبهة عليه فى آن واحد، مما يخفف الضغط العسكرى علي "الدولة الأم"!

www.SID.ir